جماعة من سكان ميديا –منحوته آشورية

لكلمة الذهب العربية فسموا البلدة خطأ آلتون كوبري (القنطرة الذهبية). وأطلق الآراميون تارة على إقليم Garmakan (بيث گرماي) الكنية التي أخذت صيغة باجرمي في العربية وتارة أخرى (شهرزفر أو سيارزور) وترجمه السريان إلى (شهرزفر) إلا أن البيزنطيين ظلوا يطلقون على مركزه تسمية Chalchas Toi Izdem = XaAXao Toi IÇasμ (قلعة بيت إزدين)[٣٩] التي حلت محل التسمية الحورية دمتو كيرخي شيلواخو (قلعة بيت مدينة بني شيلوا) فإذا كانت الملكة الأربيلية هيلينا وأخوها وزوجها في آن واحد الملك مونوباز الوثنيان السكسيان قد تقبلا اليهودية خلال هذه الفترة وأطلقا على وليديهما كنية إزاتيس (عزة) التي عممت فيما بعد على أغلب ملوك Adiabênê الذين دفنوا في أورشليم[٤٠] فإن أسرة إزدين التي شاركت في تقوية الشروط القومية للكرد على الأقل

كانت محتفظة لتقاليدها المزدية الإيرانية Mazdaizim التي جسّدت الألوهية بنور السماء، وما أن حل القرن الأول الميلادي إلا ونجد أفراد الأسرتين الملكيتين قد تركوا تقاليدهم الدينية الوثنية واليهودية القديمة وجعلوا المسيحية ديناً رسمياً للدولة في هذا القسم من ميديا الذي إشتهر منذ هذه الفترة بـ(شهرازور) حيث أصبحت كركوك تشكل فيه مركزاً لأقدم مطرانية لا على مستوى ميديا بل في عموم الشرق، وظهر من وجهائها الكرد أساقفة خدموا الكنائس المسيحية بإخلاص أمثال بار شبا الشهرزوري ويعقوب لاشوم والجاثليق صبر يشوع الذي تربى راعياً في الجهات الجبلية من شهرزور وأصبح أسقف كنيسة لاشوم (لاسين قرب داقوق بجنوب كركوك) ونرسي الذي ولد في شهرقذ (آلتون كوبري) وكذلك رئيس جيمع كنائس الشرق الجاثليق شاهدوست الملقب بناثنيال الشهرزوري الذي صلبه شابور الساساني عام ٣٤٢م مع ١٢٨ كردياً مرتداً من ديانته الزرادشتية حيث سماهم كتاب العصر الإسلامي كالمسعودي بالجرامقة (الكلمة المعربة لگرمكان) ولعل توماس المرجي يمثل آخر عنقود من الكرد المسيحيين الذين أبقوا لنا مدوناتهم الدينية، فقد ولد عام ٨٣٢م بشهرزور (شهرگان) وهو إبن يعقوب الذي ينتمي إلى قبيلة الشيروانيين (شارونايه) في منطقة رواندز وعين أسقفاً للدير النسطوري في بيث عبهي الذي أسسه يعقوب لاشوم ثم إنتقل إلى مرگه بوسط كُردستان وأخيراً أشغل منصب ميتروبوليتان (مطرانية) بيث گرماي حيث إستقر في كركوك. وبناءً على هذه الظاهرة ومنذ الحكم الملكي السكسي المسيحي أصبحت الآرامية، اللغة التي كان يبشر بها

السيد المسيح ومن بعده تلاميذه، لغة الطقوس والمراسيم الدينية في الكنائس والمدارس في كركوك وظلت كل الأعمال التي كتبها مشاهير الكنائس الكُردية من مطارنة وأساقفة جزءً من تراث السريانية الوريثة الشرعية للآرامية.

وعلى كل حال، فإن إقليم شهرزور أصبح منذ العصر الهللينى موطناً رئيسياً للطوائف الكردية حكمها ملوك محليون ثم ساد فيه التنظيم الإداري لإمبراطورية الفرث حمل حكامه لقب (الشاه)، وعندما إنتصر أردشير بن بابك مؤسس الدولة الساسانية على الإمبراطور أردوان الخامس الفرثي عام ٢٢٤م دخل في حرب مع كورتان شاهي ماديك (مادي ملك الكُرد) قرب كركوك بإقليم شهرزور. ويشير النص البهلوي لكتاب كارنامج أردشيري بابكان إلى أن «الفضل يرجع للجيش الباسل الذي دخل في حرب ضد مادي ملك الكُرد حيث سالت دماء كثيرة فإندحر جيش أردشير»[٤١]. ومنذ أواسط القرن الثالث الميلادي غدت المقاطعات التابعة لكل من شهرزور وبيث گرمي Beth Garme تابعة للساسانيين الذين أسكنوا في قلعة مدينتها الرئيسية كرخا (كيرخي) مجموعة من أشراف البيوتات الفهلية (الفيلية) حيث كانوا يسجدون للشمس كل صباح ما هو مدون في سجلات مطرانيتها، وقد غدت هذه المدينة مركزا شهريا للإحتفالات الدينية المسيحية، وبعدها أعتبرت من أبرز المراكز المسيحية في العالم شهد أتباع كنيستها في القرن الخامس الميلادي كثيرا من الظلم والإضطهاد ووقع عدد كبير منهم ضحايا سياسة يزدگرد الثاني (٤٣٨م-٤٥٧م) الدينية، ومع مرور الزمن فقد ظلت

كركوك حتى في العصور الأموية والعباسية والأيوبية وكذلك بعد إستقرار القبائل التركمانية فيها خلال القرن الرابع عشر الميلادي ثم ضمها الى الدولة العثمانية بموجب ترسيم الحدود مع إيران في القرن السادس عشر تشكل المركز الإداري والإقتصادي لإقليم شهرزور[٤٢]، تلك الوضعية التي أشار إليها المتخصص البريطاني للشؤون الكُردية في العراق ج.س. إدموندس J. C. Edmonds بقوله «أن كركوك شكلت في القرن الثامن عشر الميلادي مركزاً لإيالة شهرزور العثمانية التي كانت تضم كلاً من كركوك وأربيل والسليمانية، ومنذ عام ١٨٦٩م لحد عام ١٨٧٢م ثبت إسم شهرزور على سنجق كركوك الذي شمل كذلك أربيل، أما ولاية الموصل فقد ظهرت إلى الوجود عام ١٨٧٩م وكانت كركوك مركزاً رئيسياً من مراكزها حيث أسكن العثمانيون فيها بعض أتباعهم من الخدم والجندرمة وأثناء عودتهم إلى المدينة عام ١٩١٨م حولوا كنيستها إلى عنبر لحفظ الأرزاق والأعتدة ثم دمروها بالكامل قبل إنسحابهم منها»[٤٣]. ومن الجدير

تمثال أمير فرثي من القرن الثاني ق.م. متحف طهران

بالإشارة هنا أن العثمانيين إقتلعوا بطوناً من عشائر شيخ بزيني الكُردية القاطنة في منطقة شوان شمال مدينة كركوك ونقلوها بالكامل إلى مناطق قونية وجنوب أنقره في وسط الأناضول حيث لايزالون يتكلمون هناك باللهجة الكُردية المتداولة في منطقة كركوك وما والاها، كما نقلوا كذلك بضعة آلاف من الهموند وأسكنوهم بالإضافة إلى مناطق ماردين وأورفه بجنوب الأناضول في كل من ليبيا والجزائر.

وعلى كل حال فإن وجهاً من الوجوه المثقفة العثمانية كالأستاذ شمس الدين سامي كان قبل إدموندس قد شرح في المجلد الخامس من وثيقته (قاموس الأعلام) المطبوع عام ١٣١٥هـ/ ١٨٩٦ م الوضع العام في كركوك بصورة دقيقة ومنصفة مشيراً إلى أن:

«كركوك مدينة في ولاية الموصل بكُردستان وتقع على بعد ١٦٠ كيلومتراً جنوب شرق مدينة الموصل ووسط تلول صفراء وعلى وادٍ أدهم وتشكل مركز سنجاق شهرزور، عدد سكانها ٣٠٠٠٠ وفيها قلعة و٣٦ جامعاً ومسجداً و٧ مدارس و١٥ تكية وزاوية و١٢ خاناً و١٢٨٢ مخزناً ودكاناً ودبستان واحد و٨ حمامات وجسر واحد على النهر ورشدية واحدة و١٨ مدرسة للصبيان و٣ كنائس وحاورة واحدة، وفي القلعة المقامة على التل وكذلك في المحلات (الأزقة) الواقعة تحتها وعلى الجهة اليمنى من النهر التي تتركب منها المدينة نجد أن ثلاثة أرباع السكان هم من الكُرد والبقية هم من الترك والعرب وغيرهم، وهناك تعيش ٧٦٠ أسرة يهودية و٤٦٠ أسرة مسيحية كلدانية إلخ»(٤٤).

وبعد ربع قرن من الزمان أضاف ج. س. إدموندس J. C. Edmonds معلومات دقيقة عن كركوك وعن سكانها والعوائل المشهورة فيها مشيراً إلى أن «هذه المدينة أصبحت من ممتلكات السلطة العثمانية قبل دخولها في المعارك مع كل من الشاه عباس (١٦٢٥م- ١٦٣٠م) ونادر شاه (١٧٤٣م-١٧٥٤م)، وعندما إحتلها البريطانيون عام ١٩١٨م كان عدد نفوس سكان المدينة يبلغ ٢٥ ألف نسمة» على حد قوله. وبالرغم من أن مدينة كركوك كانت محاطة بالأقضية والنواحي والقرى ذات السمات الفلاحية الكُردية الصرفة حيث شكلت كل واحدة منها، بالإضافة إلى المدينة نفسها، مركزاً من مراكز التبادل التجاري وسوقاً من أسواق صرف بضائع ومنتجات مزارع القبائل كالداوده والطالبانية والكاكائية والروژبيانية والشيخانية والجبارية والجاف والزنگنه وگل وشوان التي كانت جميعها تسكن حوالي كركوك، فإن «أغلبية السكان داخل المدينة كانت من التركمان» حسب قول إدموندس وإن كان يعترف بالأصول الكُردية للبيوتات البارزة فيهم كأسرتي النفطچي زاده واليعقوبي زاده المنحدرتين من عشيرة الزنگنه على حد أقوال وجهاء التركمان أنفسهم كما يقول. وفي الواقع فإن تركمنة الكُرد داخل المدينة أتت لأسباب عديدة منها:

١) تحت تأثير السيادة العسكرية والسياسية والإدارية والثقافية التركية في المدينة منذ القرن السادس عشر الميلادي.

٢) ظهور طبقة رأسمالية سائدة من الملاكين بين التركمان نتيجة إستغلال الثروة الحيوانية والزراعية للقرويين الكُرد داخل أسواق المدينة وقبول